

تفسير البحر المحيط

@ 370 @ قالوا : نحن أحقاء بذلك وإذا أصابهم ما يسوءهم تشاءموا بموسى وزعموا أن ذلك بسببه واللام في { لَنَا } قيل للاستحقاق كما تقول السَّحَّج للفرس وتشاءمهم بموسى ومن معه معناه أنه لولا كونهم فينا لم يصبنا كما قال الكفار للرسول عليه السلام هذه من عندك في قوله { وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ } وأتى الشرط إذا في مجيء الحسنة وهي لما تيقن وجوده لأنَّ إحسان الله هو المعهود الواسع العام لخلقه بحيث أنَّ إحسانه لخلقه عام حتى في حال الابتلاء وأتى الشرط بأن في إصابة السيئة وهي للممكن إبراز أن إصابة السيئة مما قد يقع وقد لا يقع وجهه رحمة الله أوسع ، قال الزمخشري : (فإن قلت) : كيف قيل { فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ } إذا وتعريف الحسنة { وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ } بأن وتنكير السيئة (قلت) : لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثيره واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا يسير منها ومنه قول بعضهم وقد عدت أيام البلاء فهلا عدت أيام الرجاء انتهى ، وقرأ عيسى بن عمرو طلحة بن مصرف تطيروا بالتاء وتخفيف الطاء فعلاً ماضياً وهو جواب { وَإِنْ تُصِيبْهُمْ } وهذا عند سيبويه مخصوص بالشعر أعني أن يكون فعل الشرط مضارعاً وفعل الجزاء ماضي اللفظ نحو قول الشاعر : % (من يكذي بسيد كنت منه % .

كالشجى بين حلقه والوريد .

. %)

وبعض النحويين يجوزه في الكلام وما روي من أن مجاهداً قرأ تشاءموا مكان تطيروا فينبغي أن يحمل ذلك على التفسير لا على أنه قرآن لمخالفته سواد المصحف . { أَلَا إِنَّ زَئْجَمَ طَائِرِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلاَ كُنَّ أَكْثَرَهُمْ } لا يَعْلَمُونَ { قال ابن عباس } طَائِرُهُمْ { ما يصيبهم أي ما طار لهم في القدر مما هم لا قوة وهو مأخوذ من زجر الطير سمى ما عند الله من القدر للإنسان طائراً لما كان يعتقد أن كل ما يصيبه إنما هو بحسب ما يراه في الطائر فهي لفظة مستعارة قاله ابن عطية ، وقال الزمخشري : أي سبب خيرهم وشرهم عند الله تعالى وهو حكمه ومشئته والله تعالى هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحدهم ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى { قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ } ويجوز أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده يجري عليهم ما يسوءهم لأجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله تعالى في قوله { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا } الآية ولا طائر أشأم من هذا ، وقرأ الحسن ألا إنما طيرهم وحكم بنفي العلم عن

أكثرهم لأنّ القليل منهم علم كمؤمن آل فرعون وآسية امرأة فرعون ، وقال ابن عطية :
ويحتمل أن كون الضمير في { طَائِرُهُمْ } لضمير العالم ويجيء تخصيص الأكثر على ظاهره
ويحتمل أن يريد و { لَكِنْ * أَكْثَرُهُمْ } ليس قريباً أن يعلم لانعمارهم في الجهل
وعلى هذا فيهم قليل معدّ لأن يعلم لو وفقه □ انتهى ، وهما احتمالان بعيدان وأبعد منه
قوله وإمّا أن يراد الجمع وتجوّز في العبارة . .

{ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ
لَكَ بِمُؤْمِنِينَ } الضمير في { وَقَالُوا } عائد على آل فرعون لم يزداهم الأخذ
بالجذوب ونقص الثمرات إلا طغياناً وتشدّداً في كفرهم وتكذيبهم ولم يكتفوا بنسبة ما
يصيبهم من السيئات إلا أن ذلك بسبب موسى ومن معه حتى واجهوه بهذا القول الدالّ على أنه
لو أتى بما أتى من الآيات فإنهم لا يؤمنون بها وأتوا بمهما التي تقتضي العموم ثم فسّروا
بآية على سبيل الاستهزاء في تسميتهم ذلك آية كما قالوا في قوله { إِنَّنَا قَتَلْنَا
الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ